اللعن في القرآن الكريم – دراسة موضوعية

د/ حسن محمد المعلمي
أستاذ التفسير المساعد - كلية التربية بالمحويت - جامعة صنعاء
د/ أحمد محمد قاسم مذكور
أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك - كلية التربية – جامعة الحديدة

ملخص البحث:

يهدف البحث إلى التحديد الدقيق لمفهوم اللعن في القرآن الكريم، إضافة إلى آثاره على الفرد والمجتمع، ويتكون البحث من ثلاثة مباحث، تناول المبحث الأول مفهوم اللعن في القرآن، وتناول المبحث الثاني موجبات اللعن الاعتقادية والقولية، وتناول المبحث الثالث: موجبات اللعن السلوكية.

وقد خلص البحث إلى نتائج من أهمها:

1- اللعن من الله هو الطرد والإبعاد.

2- اللعن من الخلق في حق بعضهم هو الشتم والسب.

3- لعن المؤمن كقتله.

4- نقض العهود والمواثيق العامة والخاصة تسبب الفوضى والدمار والخراب للمجتمعات والشعوب.

مقدمة:

إن الله لما خلق الإنسان لم يتركه هملاً؛ بل سخر له ما يعينه في الحياة على طاعة الله، والالتزام بأوامره في المنشط والمكره، ومع بدء الخليقة الأولى المتمثلة بأبي الأنبياء والمرسلين آدم عليه السلام، وأصل البشر جميعًا، خالف إبليس تلك الغاية فاستحق اللعن من الله، وإبعاده من جنته الأبدية.

إن اللعن آفة في كل عصر ومصر، لاسيما في المجتمعات الإسلامية، فقد تفشت تلك الظاهرة فأصبحت تقال من كثير من الناس بدلاً عن التحية بالسلام، وما زاد الأمر صعوبة أن تلك الظاهرة انتشرت حتى بين المتعلمين والمثقفين ممن ينتسبون إلى الإسلام، فتارة يصدر اللعن بحق وغير حق في أناس ارتكبوا مخالفات شرعية أو عرفية.

ومما يجدر الإشارة إليه والتنبيه عليه أن الإسلام براء من سلوكيات بعض ممن ينتسبون إليه، فالإسلام دين ينشر التسامح والمحبة والألفة بين الناس قاطبة، فهو دين أخلاق، ودستور حياة، وليس دين سب وشتم ولعن، إلا أن هناك حالات استحقت الطرد من رحمة الله ومغفرته في ضوء دليل سليم وبرهان كريم من القرآن والسنة المطهرة، وهذا ما سنحاول التطرق إليه بدراسة موضوعية في ضوء آيات القرآن المتعلقة بذلك، من خلال الاعتماد على التفاسير الشارحة والمبينة لمضمون ومنطوق كل آية في إطار التفسير الموضوعي.

- **أهمية البحث:**

اللعن آفة في كل عصر ومصر، وهو ظاهرة منتشرة في المجتمعات الإسلامية أكثر من غيرها، نتيجة الجهل بعاقبة اللعن، أو التغافل عن آثاره على الفرد والمجتمع، وفي هذا البحث سنعمل على توضيح آثار اللعن على الفرد والمجتمع في ضوء سياقات وألفاظ آيات اللعن في القرآن الكريم بصورة موضوعية بعد معرفة مفهوم اللفظ في سياقه.

- **إشكالية البحث:**

يمكننا أن نحدد إشكالية البحث بالسؤال الآتي المكون من شقين:

ما هو مفهوم اللعن في القرآن؟ وما آثاره على الفرد والمجتمع؟

- **منهجية البحث:**

تم الاعتماد على المنهج الوصفي.

- **خطة البحث:**

تكون البحث من ثلاثة مباحث، وذلك على النحو الآتي:

المبحث الأول: مفهوم اللعن في القرآن، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: معنى اللعن في اللغة
المطلب الثاني: معنى اللعن في الاصطلاح

المبحث الثاني: موجبات اللعن الاعتقادية والقولية

المبحث الثالث: موجبات اللعن السلوكية

ثم الخاتمة، وتضمنت أهم النتائج التي تم التوصل إليها، ثم فهرس المصادر والمراجع.

سائلين المولى عز وجل التوفيق والسداد.

المبحث الأول: مفهوم اللعن في القرآن

المطلب الأول: معنى اللعن في اللغة

لَعَنَ: اللام والعين والنون أصل صحيح يدل على إبعاد وإطراد، ولعن الله الشيطان: أبعده عن الخير والجنة(1)، واللعن إبعاد في المعنى والمكانة والمكان إلى أن يصير الملعون بمنزلة النعل في أسفل القامة يلاقي به ضرر الموطئ(2)، وهو على سبيل السخط، وذلك من الله تعالى في الآخرة عقوبة، وفي الدنيا انقطاع من قبول رحمته وتوفيقه، ومن الإنسان دعاء على غيره(3).

واللعن مِن لَعَنَ، وهو: الإبعاد والطرد من الخير، وقيل: الطرد والإبعاد من الله، ومن الخلق السَّبُّ والدعاء، واللعنة الاسم، والجمع لِعَانٌ ولعناتٌ، ولعنه يلعنه لعناً: طَرَدَه، وأبعده، ورجل لعين وملعون والجمع ملاعين، والتلاعُنُ كالتشاتم في اللفظ غير أن التشاتم يستعمل في وقوع فعل كل واحد منهما بصاحبه، والتلاعن ربما استعمل في فعل أحدهما، والتلاعن أن يقع فعل كل واحد منهما بنفسه(4).

قال عنترة:

هل تُبْلِغَنِّي دارَها شَدَنِيّةٌ لُعِنَتْ بِمَحْرُومِ الشَّرابِ مُصَرَّمِ(5)

وقال الشماخ:

ذَعَرْتُ به القَطَا وَنَفَيْتُ عنه مَقَامَ الذِّئْبِ كَالرَّجُلِ اللِّعِينِ(6)

(1) مقاييس اللغة لابن فارس 253/5.
(2) التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي 621/1.
(3) مفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني 741/1.
(4) الصحاح للجوهري 2196/6، لسان العرب لابن منظور 387/13، المحيط في اللغة لابن عباد 50/2.
(5) لسان العرب لابن منظور 387/13.
(6) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي للأزهري الهروي 235/1.

المطلب الثاني: معنى اللعن في الاصطلاح

هو من الله إبعاد العبد بسخطه، ومن الإنسان الدعاء بسخطه(1)، وقال بعضهم: إن المعنى العرفي للعن هو: مطلق السَّبِّ(2)، والذي يظهر أن اللعن في حق الكفار الإبعاد من رحمة الله، وفي حق المؤمنين الإسقاط عن درجة الأبرار ومقام الصالحين، وهذا يدخل في تقييد السَّب باللعن، فمن الله في حق بعض خلقه يعد لعنًا، وقد يصحبه عذاب، والعاقبة يعلمها الله، فهو إبعاد من الجنة وإنزال العقوبة، وهو من الخلق في حق بعضهم يعد سَبًّا بما يفيد ابتعاد بعضهم عن بعض، وهو منهم قول، وهو كذلك من الملائكة(3).

المبحث الثاني: موجبات اللعن الاعتقادية والقولية(4):

من الأهمية بمكان ونحن نستقرئ آيات اللعن في القرآن أن نتعرف على موجبات اللعن، فلم تأت تلك الآيات الكريمة دون موجبات توجب اللعن على اختلاف معانيه في وقوعه من الله في بعض خلقه، أو وقوعه من الخلق في حق بعضهم بعضًا كما يلي:

أولا/ الكفر بالله:

القرآن في كثير من آياته تناول لعن الكافر بالله تعالى ربًّا وإلهًا، قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَقَلِيلٗا مَّا يُؤۡمِنُونَ ﴾(5) قال الإمام الطبري: (بل أقصاهم الله وأبعدهم وطردهم وأخزاهم وأهلكهم بكفرهم وهو جحودهم آيات الله وبيناته، وما ابتعث به رسله، وتكذيبهم أنبياءه، فأخبر تعالى ذكره أن أبعدهم منه ومن رحمته بما كانوا يفعلون من ذلك(6)،

(1) التعريفات للجرجاني 247/1، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي 67/2.

(2) فتح الباري لابن حجر 295/9.

(3) لمزيد تفصيل ينظر: الموسوعة الفقهية الكويتية 134/24، مراح لبيد لكشف معنى القرآن مجيد للجاوي 138/1.

(4) آيات اللعن في القرآن بلغت 36 آية، ووردت مصطلحات اللعن بصيغ متعددة فبلغت 41 مرة في القرآن، منها 27 آية مكية و14 آية مدنية في 18 سورة، وأسند اللعن إلى الله 33 مرة و8 مرات لغير الله، لأن بعض الصيغ تكررت في بعض الآيات كما في سورة البقرة الآية159، وفي سورة النساء الآيتان47، 52، وفي سورة الأحزاب الآية 68، وهذا من خلال الاستقراء في مفصل آيات القرآن لمصنفه د. عبد الصبور شاهين 5199/9 - 5204.

)3(سورة البقرة الآية 88.

(6) جامع البيان للطبري 328/2، وينظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 25/2، تفسير المنار 299/3، تفسير القرآن العظيم لابن كثير 472/1.

فلعنة الله لليهود في هذه الآية منعتهم الألطاف والفوائد التي منح الله المؤمنين وأكرمهم بها على إيمانهم، فحرم اليهود أنفسهم منها، ويسري ذلك على من كانت شاكلته على اليهود، فإن اليهود ادعوا عدم معرفتهم بالنبي ﷺ وعندهم أوصافه يرونها فيه رأي العين، ويتحججون بأن قلوبهم غلف لا تعرف التمييز لتعرف الحق، وهذا فيه قلة أدب مع الله ومع رسوله، ومغالبة الله في أمره وتقديره، فكان جزاؤهم الطرد والإبعاد من رحمته تعالى الخاصة، إذ رحمته العامة تشمل كل مخلوق، وقد علل القرآن ذلك اللعن أن اليهود عرفوا الحق فكفروا به وحاربوه وجابهوه، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾(1).

قال سيد قطب: "وهذه الطبيعة التي تبدو هنا في يهود هي الطبيعة الكنود، طبيعة الأثرة الضيقة التي تحيا في نطاق من التعصب الشديد، وتحس أن كل خير يصيب سواها كأنما هو مقتطع منها و لا تشعر بالوشيجة الإنسانية الكبرى، التي تربط البشرية جميعًا"(2).

ولا ينحصر عقاب الله لليهود في الدنيا؛ بل يشملهم يوم القيامة بلعنهم من الله والملائكة والناس أجمعين، كونهم من جملة الكافرين، وهو موقف فيه من الصغار والخزي ما الله به عليم، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴾(3).

إن من مات وهو كافر برسالة النبي ﷺ وجاحد بها سواء من اليهود والنصارى أم من أهل الملل الشركية ومن سار على نهجهم حقت عليه لعنة الله وملائكته والناس أجمعين، فجحود الإسلام وعالميته وسيادته وسماحته وعدله، كل ذلك موصول إلى عاقبة وخيمة، وفضيحة كونية، وهي اللعن من الله وملائكته والناس أجمعين، وهذا عدد هائل لا يعلمه إلا الله "(4).

ولقد لعنهم الله في مواضع كثيرة في القرآن، منها قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولًا ﴾"(5) وهنا جاء اللعن بمعنى الخزي، ومسخهم قردة وخنازير كما

(1) سورة البقرة الآية 89.
(2) في ظلال القرآن لسيد قطب1/90.
(3) سورة البقرة الآية 161.
(4) ينظر جامع البيان للطبري3/261، تفسير القرآن العظيم لابن كثير1/472.
(5) سورة النساء الآية 47.

حدث لأصحاب السبت(1)، وهم بلا شك اليهود، وهي عقوبة واقعة بهم لا محالة عاجلاً أم آجلاً، ولن تقوم القيامة إلا وقد تحقق فيهم ذلك، إذ كيف تكتب لهم الهداية وهم عنها في إعراض دائم مع علمهم بها كما قال تعالى:﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾"(2).

ومن عاقبة اللعن، لعن الكافرين بعضهم بعضاً في النار، قال تعالى:﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾(3) وقال تعالى:﴿ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴾(4) وقوله تعالى:﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴾(5) وقوله تعالى:﴿ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾(6) وفي قوم عاد قال تعالى:﴿ وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴾(7) وعن فرعون وملئه قال تعالى:﴿ وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴾(8)وقال تعالى:﴿ وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴾(9).

(1) ينظر: جامع البيان للطبري447/8، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي245/5، تفسير المنار لمحمد رشيد رضا 118/5، مفاتيح الغيب للرازي 96/10، البحر المحيط لأبي حيان 668/3، في ظلال القرآن 677/2.
(2) سورة آل عمران 87،86.
(3) سورة الأعراف الآية 44.
(4) سورة العنكبوت الآية 25.
(5) سورة الأحزاب الآية 64.
(6) سورة الأحزاب الآية 68.
(7) سورة هود الآية 60.
(8) سورة هود الآية 99.
(9) سورة القصص الآية 42.

كل تلك الآيات تدل على ابتعاد الكافرين من رحمة الله بسبب لعنهم من الله وملائكته والناس أجمعين، و إنها لحسرة وندامة وخزي أن يأتي التلاعن من الكافرين أنفسهم على أنفسهم بعد تبينهم أنهم في النار ماكثين، وإنها لذلة حينما يتصدر أئمة الكفر لطابور الكفر في عرصات القيامة فيلعنهم التابعون لهم شماتة لهم وتأييسًا لهم من رحمة الله، فالكفر خبيث في الدنيا والآخرة، ولذلك استحق الكافر اللعن ليس لذاته وإنما لكفره، فإذا انسلخ من كفره ودخل الإسلام زالت عنه آثار اللعن.

إن من المعلوم أن إبليس كافر في ذاته وسلوكه منذ الأزل فاستحق لعنة الله مدى الحياة على التعيين، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾(1) وقال تعالى:﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾(2) وهذه اللعنة لإمام الكفر وسيده أبدية على الدوام ما توقف الليل والنهار(3)، والله تعالى يقول:﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾(4) فالرابط بين إبليس إمام الكفر وبين الإنسان الكافر هو التمرد عن أمر الله وجحود نعمه مع إحسان الله له، قال تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾(5) فهذا الإنسان الكافر استحق اللعن وهو الإبعاد من رحمة الله وطرده(6).

ثانيا/ وصف الله بما لا يليق ومؤاذاة رسوله.

من المعلوم أن اليهود كانوا ولايزالون أشد مؤاذاة لله ولرسوله، جرأتهم المعوجة جعلتهم يصفون الله بما لا يليق - تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا - وتلك المؤاذاة ناتجة عن وقاحتهم وسوء أدبهم مع ربهم جل وعلا، الذي اتصف بصفات الجمال والكمال، وصفاته تعالى عرّفها أنبياءه ورسله وهم بلغّوا عن ربهم الناس بكل صدق وإخلاص، فاليهود عندهم في التوراة أسماء الله وصفاته وأفعاله، فكيف بهم ينحرفون عن الحق إلى الباطل، وعن الإيمان إلى الكفر، قال تعالى:﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا

(1) سورة الحجر الآية 35.
(2) سورة ص الآية 78.
(3) ينظر: جامع البيان للطبري 240/21، التحرير والتنوير لابن عاشور 38/13، فتح القدير للشوكاني 446/4.
(4) سورة النساء الآيتان 118/117.
(5) سورة عبس الآية 17.
(6) ينظر: جامع البيان للطبري 222/24، تفسير القرآن العظيم لابن كثير 322/8، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 218/19، معاني القرآن للفراء 202/3، لبلب التأويل في معاني التنزيل للخازن 395/4.

مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾(1) فقد وصف اليهودُ اللهَ بالإمساك عن الإنفاق، وبأن الله فقير وهم أغنياء، تعالى الله عما قالوا علوًّا كبيرًا، قال الإمام ابن جرير الطبري:" وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن جرأة اليهود على ربهم، ووصفهم إياه بما ليس من صفته، توبيخًا لهم بذلك، وتعريفًا منه نبيه ﷺ قديم جهلهم واغترارهم به، وإنكارهم جميع جميل أياديه عليهم، وكثرة صفحه عنهم وعفوه عن عظيم إجرامهم(2).

ولا غرو أن ذلك الحمق وسوء الأدب مع الله اقترفه واحد من اليهود هو فنحاص بن عازوراء، ولأن اليهود كافة ارتضوا قوله، ووافق ذلك هواهم، عمهم الله باللعن على الجمع، وهكذا تحل المصائب على الجمع بسبب الفرد لاسيما ما كان فيه اعتداء وإفك في حق الله تعالى، فهم ملعونون في الدنيا بحرمانهم من رحمة الله العامة، وهذا طرد وإبعاد لهم، وفي الآخرة ملعونون بطرد من رحمته وجنته ووضعهم في النار مصيرهم الدائم(3).

وإذا كان ذلك في حق اليهود لأنهم وصفوا الله بما لا يليق بجلاله، ﷻ، وتقدست أسماؤه، فإن من يسير على أثرهم في الاعتداء بالمؤاذاة لله ولرسوله، فإنه يشترك في السلوك والعاقبة، ولا خلاف بأن المؤاذاة تقع بالاعتقاد القلبي وباللسان وبالأفعال، قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾(4) قال الإمام ابن كثير:" يقول تعالى متهددًا ومتوعدًا مَنْ آذاه بمخالفة أوامره وارتكاب زواجره وإصراره على ذلك، وآذى رسوله بعيب أو تنقص، عياذًا بالله من ذلك، إن أذية بعض الناس لله تحدث بفعل وقول، من ذلك سب الدهر، أو التذمر على الله في الرزق و الأولاد، وغير ذلك(5).

فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:" قال الله عز وجل: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ بِيَدِي الأَمْرُ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَار(6) ومن ذلك أذية اليهود حينما قالوا عزيرًا ابن الله، ويد الله

(1) سورة المائدة الآية 64.

(2) جامع البيان للطبري450/10، وينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير145/3، التحرير والتنوير لابن عاشور145/5.

(3) لمزيد تفصيل ينظر: تفسير المنار لمحمد رشيد رضا374/6.

(4) سورة الأحزاب الآية57.

(5) تفسير القرآن العظيم لابن كثير 480/6.

(6) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، تفسير سورة الجاثية برقم4826، ومسلم في كتاب الألفاظ، باب النهي عن سب الدهر برقم 6000.

مغلولة، وقالوا: إن الله فقير، وأذية النصارى حينما قالوا: المسيح ابن الله، وثالث ثلاثة، وأذية المشركين حينما قالوا: الملائكة بنات الله، والأصنام شركاؤه.

والنبي ﷺ قال: قال الله:" كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ لَنْ يُعِيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي وَلَيْسَ أَوَّلُ الْخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا وَأَنَا الأَحَدُ الصَّمَدُ لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفْأً أَحَدٌ "(1)، ولا تقتصر الأذية في ذلك؛ بل تشمل من آذى أولياء الله تعالى، فهي أذية لله، فقد ثبت عن النبي ﷺ قوله: إِنَّ اللَّهَ قَالَ:" مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ "(2).

وأما أذية رسول الله ﷺ فهي كما قال ابن عباس رضي الله عنه: هو أنه شج في وجهه، وكسرت رباعيته، وقيل: شاعر، ساحر، معلم، مجنون، ولا تنحصر الأذية فيما قاله ابن عباس؛ بل إنها في زماننا هذا اتسعت للطعن في رسالته، وفي أسرته وأهله وذاته، وبلغت الأذية التي يدعمها المستشرقون والصهاينة إلى محاولة الإساءة إلى النبي ﷺ في وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة، ظنًّا منهم أنهم بذلك يكسرون دعوته، ويحطمون أمته، ولا يعلمون أنهم في اللعنة دخلوا، وعن رحمة الله أبعدوا، في الدنيا والآخرة، ولهم عذاب مهين.

ثالثاً/ النفاق: النفاق إظهار الإيمان وإبطان الكفر، وهو مرض في القلوب، وهو خطر عظيم، وشر مستطير، ولخطره استحق صاحبه اللعن من الله ومن عباده، قال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِىَ حَسْبُهُمْۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾(3).

يقول سيد قطب: "هذه الطبيعة الفاسقة المنحرفة الضالة، ليست جديدة ففي تاريخ البشرية لها نظائر وأمثال، ولقد حوى تاريخ البشرية من قبل هؤلاء نماذج كثيرة من هذا الطراز، ولقد لاقى السابقون مصائر تليق بفسوقهم عن الفطرة المستقيمة والطريق القويمة، بعد ما استمتعوا بنصيبهم المقدر لهم في هذه الأرض، وكانوا أشد قوة وأكثر أموالاً وأولادًا فلم يغن عنهم من ذلك كله شيء(4).

وتتكرر مظاهر وصور النفاق في كل عصر ومصر، فقد كان المنافقون خنجرًا مسمومًا في خاصرة المسلمين منذ عصر النبوة، وكان دورهم أشد خطورة من المشركين، وأغلظ فحشًا من

---

(1) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب تفسير" قل هو الله أحد " برقم4974 من حديث أبي هريرة.

(2) أخرجه البخاري في الرقاق، باب التواضع برقم6502.

(3) سورة التوبة الآية 68.

(4) في ظلال القرآن لسيد قطب1673/3.

مبارزة الأعداء في الميادين، ويتجدد طابور النفاق في كل زمان ليخدم أعداء الأمة، ويقيض انتشار الدين، وها هو النفاق قد دخل عالم العقيدة والتربية والإعلام والسياسة، ولا أخبث من النفاق السياسي في عصرنا مما ينقل صاحبه إلى النفاق الاعتقادي، إذ قضى النفاق السياسي على مقومات الأمة، وأهلك الحرث والنسل، وجعل الأمة مستباحة الدماء والأموال، فاستحق النفاق لذلك كله لعن الله، وهو طرد المنافق وإبعاده من رحمة الله، واستحقاقه الخلود في الدرك الأسفل من النار.

قال تعالى:﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴾(1) ففي الآية وعيد شديد، وتهديد جسيم للمنافقين في عصر ومصر، والله يكشفهم بأفعالهم وأقوالهم مع إسرارهم وتكتمهم الشديد، لذا فالدعاء على المنافقين باللعن يناسب حالهم ومآلهم، وهو دعاء عليهم بملاقاة حتفهم قتلاً أو غيره، قال الإمام الشوكاني: "فإن قوله: (مَّلْعُونِينَ) إلخ إنما هو لمجرد الدعاء عليهم لا أنه أمر لرسول الله ﷺ بقتالهم ولا تسليط لهم عليهم"(2)، فالقيام بقتلهم سيخلق فتنة عظيمة في المجتمع المسلم، وسيظهر شراهة الكفار في اغتنام خلخلة الصف المسلم من الداخل.

والنبي ﷺ يحذرنا من النفاق بقوله:" أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ "(3)، ويقول ﷺ:" أَثْقَلُ الصَّلاَةِ عَلَى الْمُنَافِقِينَ الْعِشَاءُ وَالْفَجْرُ "(4)، ولأن النفاق قرين الكفر كانت العاقبة مقترنة في النار، قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾(5) وما تلك العقوبة إلا لخطر النفاق على الفرد والمجتمع والأمة، وماحل بالأمة من أزمات إلا بسبب تفشي النفاق بين أفرادها، ولذلك استحق النفاق كسلوك اللعن في الدنيا والآخرة.

---

(1) سورة الأحزاب الآيتان 60،61.

(2) فتح القدير للشوكاني305/4.

(3) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب: علامة المنافق برقم34، ومسلم، كتاب الإيمان، باب: بيان خصال المنافق برقم 219 من حديث عبدالله بن عمرو.

(4) أخرجه البخاري، كتاب الصلاة، باب ذكر العشاء والعتمة برقم130، ومسلم، كتاب الصلاة باب فضل الجماعة برقم1514.

(5) سورة النساء الآية145.

رابعا/ تحريف الكلم عن مواضعه:

اتصف اليهود منذ القديم بتحريف آيات الله وأحكامه، فهي طبيعتهم على مدار الأزمان، وهو سلوكهم المشين، وهذا كله سوء أدب منهم في حق الله وآياته ورسله، والله تعالى يقول:﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾(1).

فقد حدث من اليهود التحريف في كتبهم مخالفين بذلك أوامر الله تعالى فاستحقوا اللعن، ومن صنَع ما صنعه اليهود استحق ما استحقوه، قال الإمام الزمخشري:" يحرفون الكلم عن مواضعه: يميلونه عنها ويزيلونه لأنهم إذا بدلوه ووضعوا مكانه كلمًا غيره، فقد أمالوه عن مواضعه التي وضعها الله فيها، وأزالوه عنها "(2).

ولذلك استحقوا بهذه الآية التي فيها هجوم شديد عليهم اللعن بكفرهم، ذلك أن تمردهم وتآمرهم على دين الله بتأويلهم الباطل للكلم بإخراج اللفظ عن مبناه ومعناه ليس من الأمور السهلة الهينة، إنما هو عند الله عظيم، ولا أشد جرمًا وأخس طوية من تحريف مراد الله، ومحاولة لي الآيات إلى غير معانيها؛ بل والتجرؤ بمخالفة أمر الله الذي يعد من الكفر ضرورة، فسجية اليهود ومن على شاكلتهم قديمًا وحديثًا ظاهرة للعيان، ففي عصرنا دأب اليهود على ما كان عليه أسلافهم وزادوا على ذلك أن استعملوا وسائل معاصرة عديدة لم تكن عند أسلافهم، فطعنوا بها في دين الله، وحرفوا وبدلوا، وحاربوا الفضيلة واعتنقوا كل رذيلة، وأهلكوا الحرث والنسل، ونشروا الإرهاب في دول العالم، أفلا يستحق ذلك اللعن في الدنيا والآخرة، وأفلا يعد ذلك منهم كفرًا يدخلهم النار مخلدين فيها هم ومن عمل عملهم واتبع ملتهم.

قال سيد قطب:" وتحريف الكلم عن المقصود به، ليوافق الأهواء، ظاهرة ملحوظة في كل رجال دين ينحرفون عن دينهم، ويتخذونه حرفة وصناعة، يوافقون بها أهواء ذوي السلطان في

---

(1) سورة النساء الآية 46.

(2) الكشاف للزمخشري 516/1، وينظر: مفاتيح الغيب للرازي 92/10، إظهار الحق لرحمة الله الهندي200/2 فقد أفاد بكشف تحريف اليهود للكلم وفصَّل المسألة بتأصيل ورد عن الشبهات، وهو كتاب عظيم في بابه، ثقيل في منزلته ومقداره، غزير في لفظه ومعناه، ورده وفحواه.

كل زمان وأهواء الجماهير التي تريد التفلت من الدين، واليهود أبرع من يصنع ذلك، وإن كان في زماننا هذا من محترفي دين المسلمين من ينافسون ـ في هذه الخصلة ـ اليهود"(1).

خامسا/ الظن بالله ظن السوء:

الظن بالله ظن السوء مطية المنافقين والمشركين، وهو صفة ذميمة، نهى عنها الشرع، وزجر عنها، ووضح لنا عواقبها، فالله تعالى يقول: ﴿ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾(2).

ففي هذه الآية الكريمة كشف مرض الظن بالله ظن السوء لاسيما وهو مرض أصاب المنافقين والمشركين على السواء، لاشتراكهما في ذلك، قال الإمام الرازي: "واعلم أنه قدم المنافقين على المشركين في الذكر في كثير من المواضع لأمور أحدها: أنهم كانوا أشد على المؤمنين من الكافر المجاهر لأن المؤمن كان يتوقى المشرك المجاهر وكان يخالط المنافق لظنه بإيمانه، وهو كان يفشي أسراره"(3).

ولهذا ظن المنافقون والمشركون قديمًا أن النبي ﷺ سيغلب وسينتهي الإسلام بتكالب الأعداء عليه كاليهود ومشركي مكة وفارس والروم، فالأخطار تحدق به من كل جانب، ولا سبيل للنجاة من الهلكة لتعدد جبهات الأعداء، هذا كان ظن ذلك الصنف من الناس الذي كان يعيش بين ظهراني المسلمين، وتتجدد صور الظن حديثًا من ذلك الصنف وتلك المواصفات بأن الإسلام لا يستطيع أن يحل المشكلات المعاصرة التي تعاني منها البشرية، وأنه دين تخلف وإرهاب وعنف، ودين جمود فكري ومذهبي، وغيرها من الظنون السيئة، يقولون ذلك وهم يعلمون أن تطبيق الشريعة الإسلامية في مجريات الحياة اليومية بعيدًا كل البعد كبعدهم عن دينهم، فمتى طبقوا أحكام الإسلام في حياتهم حتى يحكموا عليه افتراء وتخرصًا، ومتى ثبت أن البشرية شقت بتطبيقها الإسلام، إنه الظن السيء بالله ورسوله ودينه، أفلا يستحق من يظن ذلك الظن المشين أن يلعنه الله بإبعاده عن رحمته في دنياه وآخرته، ويكون جزاؤه عذابًا أليمًا.

هذا وقلب المؤمن حسن الظن بربه، وثقته في الله قوية لا تتزعزع، يتوقع منه الخير دائمًا، في السراء والضراء، ولا يظن بالله إلا خيرًا، لعلمه بوعد الله، وإيمانه بعدله وحكمته، فعن أبي

---

(1) في ظلال القرآن لسيد قطب 675/2.

(2) سورة الفتح الآية 6.

(3) مفاتيح الغيب للرازي 70/28، وينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن 155/4، التحرير والتنوير لابن عاشور 129/26.

هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ يقول الله تعالى: "أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعاً وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعاً تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعاً وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَة "(1).

سادسا/ قذف المحصنات:

يعد قذف المحصنات الغافلات بفاحشة الزنا ذنب عظيم عند الله، وهو اعتداء على عرض البريئات المؤمنات، وفاعله قذفًا يستحق اللعن في الدنيا والآخرة، وسبب موصل إلى عذاب عظيم، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾(2) قال الإمام الطبري:" هذه الآية قيل إنها في عائشة خاصة، وقيل تشمل غيرها من النساء، وأولى هذه الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: نزلت هذه الآية في شأن عائشة، والحكم بها عام في كل من كان بالصفة التي وصفه الله بها فيها"(3).

ففي هذه الآية وعيد شديد، وتأكيد رباني قرآني على أن زوجات النبي ﷺ محصنات عفيفات طاهرات، وكفى بالقرآن لهن تزكية وطهارة، فمن قذفهن بشيء من الفحش والسوء وقلة أدب فقد كفر بالله، لأنه كذّب بالقرآن الذي هو كلام الله، ومن كذّب بالقرآن كذّب بالله، وهل يعقل الخائضون بأنهم بقذفهم عائشة بنت الصديق زوجة النبي ﷺ يخدشون في بيت النبوة، ويطعنون في طهورية بيت النبوة؟ فلو قيل لأحدهم لو كانت زوجتك في مكان عائشة حين خلّفها جيش المسلمين في غزوة بني المصطلق فهل تشك فيها أنها زنت مع رجل؟ فسيجيب بالنفي المطلق لأنه يثق في زوجته لو كانت بين ملايين الرجال، فكيف إذن بزوجة نبي يوحى إليه من ربه ليل نهار، فهل تتحقق الثقة والإيمان في زوجتك وتنعدم في زوجة النبي ﷺ؟

ولذلك من يترك العنان لنفسه بالخوض في عرض النبي ﷺ فعليه لعنة الله في الدنيا والآخرة، لا توفيق له في حياته، ولا هناء له في عيشه، ولا قبول له عند الناس، عياذًا بالله من تلك الجريمة الشنعاء في حق بيت النبوة، وفي ضوء ذلك يعاقب قاذف زوجات النبي ﷺ المصر

(1) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب: قول الله تعالى:" ويحذركم الله نفسه " برقم 7405، ومسلم، كتاب العلم، باب الحث على ذكر الله تعالى برقم 6981.

(2) سورة النور الآية23.

(3) جامع البيان للطبري140/19.

عليه بالقتل تعزيرًا(1)، لأنها جريمة مغلظة، وليست كما هي الحال في زوجات المؤمنين، وهذا الذي ينبغي مراعاته في القوانين النافذة.

ويعد قذف زوجات المؤمنين بفاحشة الزنا جريمة يستحق فاعلها اللعن في الدنيا والآخرة، وهذا عقاب رباني، ولا يعني ذلك الاكتفاء بذلك؛ بل يقام الحد على القاذف بالجلد ثمانين جلدة كما هو مذكور في القرآن، وفي إقامة الحدود حماية لطهارة المجتمع المسلم من ملوثات الكلام واللغط الذي يخدش الأسرة التي تعد لبنة من لبنات تكوين المجتمع، ولهذا من اقترف قذف المحصنات لعن في الدنيا والآخرة.

قال الإمام الطبري:" قوله تعالى:" لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ " قال العلماء: إن كان المراد بهذه الآية المؤمنين من القذفة فالمراد باللعنة الإبعاد وضرب الحد واستيحاش المؤمنين منهم وهجرهم لهم، وزوالهم عن رتبة العدالة والعبد عن الثناء الحسن على ألسنة المؤمنين، وعلى قول من قال: هي خاصة لعائشة تترتب هذه الشدائد في جانب عبد الله بن أُبي وأشباهه "(2).

ويقول الإمام الزمخشري: "ولو فليت القرآن كله وفتشت عما أوعد به من العصاة لم تر الله تعالى قد غلظ في شيء تغليظه في إفك عائشة رضوان الله عليها، ولا أنزل من الآيات القوارع، المشحونة بالوعيد الشديد والعتاب البليغ والزجر العنيف، واستعظام ما ركب من ذلك، واستفظاع ما أقدم عليه، ما أنزل فيه على طرق مختلفة وأساليب مفتنة، كل واحد منها كاف في بابه، ولو لم ينزل إلا هذه الثلاث لكفى بها، حيث جعل القذفة ملعونين في الدارين جميعًا، وتوعدهم بالعذاب العظيم في الآخرة، وبأنّ ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم تشهد عليهم بما أفكوا وبهتوا، وأنه يوفيهم جزاءهم الحق الواجب الذي هم أهله، حتى يعلموا عند ذلك أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ فأوجز في ذلك وأشبع، وفصل وأجمل، وأكد وكرّر، وجاء بما لم يقع في وعيد المشركين عبدة الأوثان إلا ما هو دونه في الفظاعة، وما ذاك إلا لأمر"(3).

(1) ولا حجة في أن النبي ﷺ جلد قاذفي عائشة ثمانين جلدة، لأنهم إنما قذفوها ولم تكن الآيات قد نزلت في تبرئتها، فصاروا قاذفين غير مكذبين للقرآن، وأما في عصرنا فالقرآن محفوظ، وقاذف عائشة بعد نزول براءتها جمع بين القذف والطعن في طهارة بيت النبوة وبين تكذيب القرآن الكريم، فحق في حقه القتل تعزيرًا لاجتماع ذلك فيه.

(2) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي210/12.

(3) الكشاف للزمخشري223/3.

سابعا: الإرجاف في المدينة:

الإرجاف هو الخوض في الأخبار السيئة وذكر الفتن، وتوليد الأخبار الكاذبة التي يكون معها اضطراب في الناس(1)، والإرجاف علامة من علامات المنافقين، فلقد كان طابور النفاق في المدينة المنورة عاصمة الدولة الإسلامية التي أسسها النبي ﷺ لا يقل خطورة من الأعداء في الملل الأخرى؛ بل أضحى النفاق خنجرًا مسمومًا في خاصرة المسلمين يبث سمومه ليل نهار، ومعلوم أن الهدف من ذلك خلخلة الصف المسلم من الداخل، وزعزعة استقراره، ولذلك فضحهم الله، ولعنهم بإبعادهم وطردهم من رحمته ومن ذلك طردهم من المدينة قال تعالى:﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴾(2) قال الإمام الطبري: "ثم لا يجاورونك فيها إلا أقلاء ملعونين يقتلون حيث أصيبوا"(3) وهذا العقاب سنة جارية وعادة مستمرة تفعل بالمكذبين ولن تجد لسنة الله تبديلاً، أي ليست هذه السنة مثل الحكم الذي يبدل وينسخ، فإن النسخ يكون في الأحكام، أما الأفعال والأخبار فلا تنسخ(4).

و في ضوء ذلك تستمر سنة الله في أولئك المرجفين على مر العصور، فالمدينة المنورة ليست ساحة لأولئك ولا مقر إقامة لهم، فمن أبى إلا نشر الأكاذيب والسوء في تلك المدينة المباركة، وإثارة الخوف والرعب في أهلها، والسعي لإقلاق ساكنيها بقول أو فعل، أو ارتكاب الجرائم في حق أهلها سعيًا لخرابها بالتفجيرات أو العدوان الإعلامي والحربي وغيرهما، فإنه قد حكم على نفسه بالقتل حسب منطوق الآية الآنفة، وتحل عليه لعنة الله أينما حل في الدنيا، وهي عليه في الآخرة.

هذا والنبي ﷺ يقول:" اللَّهُمَّ مَنْ ظَلَمَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ وَأَخَافَهُمْ فَأَخِفْهُمْ وَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ لا يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلا عَدْلٌ "(5) وما ذلك إلا لمكانة المدينة المنورة، المدينة التي سطع فيها نور الله ورسالته للبشرية بإقامة الدولة الإسلامية، المدينة التي راعت الطبقات

(1) الصحاح للجوهري1363/4، لسان العرب لابن منظور112/9.

(2) سورة الأحزاب الآيتان61،60.

(3) جامع البيان للطبري329/20، وينظر: الكشاف للزمخشري561/3، تفسير القرآن العظيم لابن كثير483/6.

(4) مفاتيح الغيب للرازي199/25، وينظر: في ظلال القرآن لسيد قطب2880/5.

(5) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، والمعجم الأوسط برقم3589 وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم351 من حديث عبادة بن الصامت.

المختلفة عقديًّا وفكريًّا والمتحدة موطنًا ومسكنًا، المسلمون والعرب، المشركون واليهود، فقد كانت دولة راعت حقوق المواطنة الاجتماعية العادلة.

إن استهداف مدينة رسول الله ﷺ بإرجاف من نوع جديد، بمحاولة إخلال أمنها واستقرارها، وإرهاب أهلها لهو العدوان بذاته، ولهو ممارسة النفاق بذاته، الذي دأب عليه أسلافهم، ممن كان يسعى لتخريب صفو المجتمع المسلم الآمن، وهو يعيش بين أظهرهم، ويدين بدين الإسلام، وهكذا يتجدد الإرجاف في كل زمان، وهو ظلم استحق مرتكبه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، واستحق القتل دون هوادة في ذلك، لعظم ذلك الجرم في مدينة مقدسة آمنة، يرفع فيها ذكر الله على الدوام.

المبحث الثالث: موجبات اللعن السلوكية

بعد أن تحدثنا فيما سبق عن موجبات اللعن العقدية، سنتحدث عن موجبات اللعن السلوكية التي تظهر من خلال سلوك الناس مع بعضهم بعضًا، وكذا اتصاف بعضهم بتلك السلوكيات التي توصلهم إلى لعنهم شعروا بذلك أو لم يشعروا والتي تتمثل في الآتي:.

أولاً/ الكذب:

الكذب صفة ذميمة، وهي ليست من صفات المؤمنين، إذ صفة المؤمن الصدق في كل أحواله، وهو خلق ينبغي أن يكون عليه المؤمن دومًا، هذا فيما يخص تعامل الإنسان مع الإنسان، وأما الكذب على الله فهو مصيبة كبرى، وكبيرة عظمى، فإن الكذب على الله ليس هينًا، فالله الخالق الحكم الجبار، فمن كذب على الله أودى بنفسه إلى المهالك في الدنيا والآخرة، قال تعالى:

﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾(1) وهذه الآية تسمى آية المباهلة أي الملاعنة لاكتشاف الصادق.

قال أبو حيان: "ثم نبتهل" أي : ندع بالالتعان، قيل: نتضرع إلى الله قاله ابن عباس، وقال مقاتل: نخلص في الدعاء، وقال الكلبي: نجتهد في الدعاء، وقيل نتداعى بالهلاك .. إلى أن يقول: وفي هذا دليل على جواز اللعن لمن أقام على كفره "(2).

والغرض من المباهلة لتبيين الصادق من الكاذب منه ومن خصمه، فمن باهل كاذبًا حلت عليه اللعنة.

(1) سورة آل عمران الآية61.

(2) البحر المحيط لأبي حيان188/3، وينظر: مفاتيح الغيب للرازي248/8.

قال الإمام الخازن: "فما معنى ضم الأبناء والنساء في المباهلة، قلت: ذلك آكد في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه حيث استجرأ على تعريض أعزته وأفلاذ كبده وأحب الناس إليه، فلذلك ضمهم في المباهلة، ولم يقتصر على تعريض نفسه لذلك، وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع أحبته وأعزته هلاك استئصال إن تمت المباهلة، وإنما خص الأبناء والنساء لأنهم أعز الأهل وألصقهم بالقلب، وربما فداهم الرجل بنفسه، وحارب دونهم حتى يقتل، وإنما قدمهم في الذكر على النفس لينبه بذلك على لطف مكانهم وقرب منزلتهم، وفيه دليل قاطع وبرهان واضح على صحة نبوة محمد ﷺ لأنه لم يرو أحد من موافق ومخالف أنهم أجابوا إلى المباهلة "(1).

لذلك الكذب خطر على الفرد وعلى الجماعة، وفيه خطر على تماسك المجتمع، فكم انهارت من دول نتيجة الكذب، وكم سقطت من حكومات نتيجة الكذب، ولذلك لا يرضى الله أن يكون المؤمن كذّابًا أبدًا، فكما تهربت اليهود والنصارى من الحق لجوءًا بالكذب وإليه، يلجأ بعض المسلمين إلى مخالفة الحق ومجابهته بالكذب على الله وعلى رسوله وعلى المؤمنين.

إنما نراه في حاضرنا من مظاهر الكذب في بعض المسلمين لينبدى له الجبين حياءً.

ومن الكذب افتراء انتقاص شريعة الله بالنقص والجمود، والكذب بتأويل النصوص إلى غير معناها ومبناها، دون تثبت وروية، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَـٰدُ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾(2) يؤتى بالكاذبين على الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة فتشهد عليهم الملائكة والناس وجوارحهم بأنهم كذبوا على الله، فيلعنهم الله وتلعنهم الملائكة والناس أجمعين.

قال الإمام ابن كثير: "يبين الله حال المفترين عليه وفضيحتهم في الدار الآخرة على رؤوس الخلائق من الملائكة والرسل والأنبياء، وسائر البشر والجان "(3).

وإن من الافتراء على الله اتخاذ الشركاء والأولياء والشفعاء له بدون إذنه، وافتراء أن له ولدًا وصاحبة وأن الملائكة بنات الله، وكذا تكذيب رسله وأنبيائه، والصد عن سبيله بصرف الناس عن سبيل الله الموصلة إلى معرفته وعبادته، ووصف الشريعة السمحاء بالعوج والالتواء رغم الانتساب إليها بشعائر وروابط الوطنية والقومية ومبادئ الإلحاد وادعاء الربوبية الأرضية

(1) لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن254/1.

(2) سورة هود الآية 18.

(3) تفسير القرآن العظيم لابن كثير313/4، وينظر: جامع البيان للطبري 282/15، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 18/9.

وهي من خصائص الألوهية، فمن اقترف ذلك كله في حق الله حقت عليه اللعنة وهي الخروج في ذلك اليوم من محيط رحمته تعالى لأن افتراء الكذب في ذاته جريمة نكراء، وظلم للحقيقة ولمن يفتري عليه الكذب، وهو جرم أعظم في حق الله تعالى(1).

ومن أخطار الكذب ما كان في القضايا الأسرية الاجتماعية الذي فيه خطر على قوام الأسرة وتكوينها وأداء وظيفتها كما أمر الله، فالأسرة رباط اجتماعي وثيق إذ انفصم تناثرت عرى المجتمع، مما يجعله غابة، فإذا انعدم الصدق في الأسرة كان للكذب الحظ الأوفر، وهنا لا أمل في الحفاظ على الأسرة الاجتماعية، والنتيجة الحتمية إزاحة ذلك الترابط والتماسك مما يهدد أفراد الأسرة بالتشتت، والله تعالى يبين لنا صورة من تلك الصور والمشاهد الأسرية؛ بل يجسد آثار الكذب حين يصيب عمق الأسرة، لاسيما حين تُتهم الزوجة بالزنا وتحدث الملاعنة بين الزوجين فيكون اللعن في حق الزوج إن كان كاذبًا لأنه مصدر خروج الخبر، فإذا كان الخبر صدقًا جنبه الله ويلات وعواقب اللعن، وإن كان كذبًا حقت عليه اللعنة، بينما لم تكن الحال في حق الزوجة كما هي في حق الزوج، لأنها ليست مصدر الخبر، ولكنها موضع الاتهام، وإنما عليها غضب الله كعاقبة لو كان ما اتهمها به زوجها صحيحًا، لأنها بذلك علمت الحق ثم حادت عنه، وغضب الله عقوبة شديدة بالغة الأثر.

قال تعالى: ﴿وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾(2) ففي هذه الآية بيّن الله لنا أهمية الحفاظ على الأسرة بستر قبائحها وحفظ أسرارها بمخرج فيه حفاظ على تلك الرابطة، وفي الآية تحصين إلهي للأسرة من الكذب وأنواعه المختلفة، وبذلك تحفظ الأسرة باعتبارها النواة الاجتماعية الأولى، فلا يجوز هزها بالكذب والاختلاق، ولا الطعن فيها، لأنه طعن في أسرتين أسرة الزوج وأسرة الزوجة، والطعن فيهما يورث العداوة والبغضاء والحقد لا سيما حينما تثبت الجريمة في أحدهما، فالله قدّر الملاعنة كمخرج فيه السلامة للسياج الاجتماعي، والحفاظ على تكوينه وكيانه، ولا يعني ذلك إعفاء الفرد المقترف لجرم الزنا من تبعات العذاب في الآخرة، فذلك شأن الله فيه أن يعذبه أو يتوب عليه(3).

ثانياً/ الظلم: الظلم جرم يؤثر على الفرد والمجتمع والأمة، وآثاره موجعة، لما له من تأثير على الإنسانية جمعاء، والله حرّم الظلم على نفسه، وجعله بين الناس محرمًا، فعن أبي ذر رضي

(1) لمزيد تفصيل ينظر: تفسير المنار لمحمد رشيد رضا 47/12، التحرير والتنوير لابن عاشور 228/11، في ظلال القرآن لسيد قطب 1866/4.

(2) سورة النور الآية 7.

(3) لمزيد تفصيل ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 183/12، البحر المحيط لأبي حيان 19/8، التحرير والتنوير لابن عاشور 130/18، في ظلال القرآن لسيد قطب 2494/4.

الله عنه عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: "يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّماً فَلاَ تَظَالَمُوا "(1).

فالظلم بين العباد محرم، ومن ظلم بعد هذا الأمر فإن عليه اللعنة من الله، قال تعالى:﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِي ٱلْقُرْءَانِۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴾(2) فهذه الآية فيها وعيد للكفار وفتنة لهم بالشجرة الملعونة، وهي شجرة الزقوم التي تخرج في وسط الجحيم بشعة المنظر، وخوفهم الله ليعتبروا ويؤمنوا بالله وبرسوله، فظلموا أنفسهم وعتوا وطغوا وأوردوا أنفسهم النار وبئس المصير(3).

قال الإمام الرازي: "فإن قيل: ليس في القرآن لعن هذه الشجرة، قلنا: فيه وجوه: الأول: المراد لعن الكفار الذين يأكلونها، الثاني: العرب تقول لكل طعام مكروه ضار إنه ملعون، والثالث: أن اللعن في أصل اللغة هو التبعيد، فلما كانت هذه الشجرة الملعونة في القرآن مبعدة عن جميع صفات الخير سميت ملعونة(4).

هذا ويوم القيامة لا يقبل الله أعذار الظالمين، ولا يلتمس لهم مجالاً يبعدهم من جهنم، قال تعالى:﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾(5).

قال الإمام الطبري:" يقول تعالى ذكره: ذلك يوم لا ينفع أهل الشرك اعتذارهم لأنهم لا يعتذرون إن اعتذروا إلا بباطل، وذلك أن الله قد أعذر إليهم في الدنيا، وتابع عليهم الحجج فيها فلا حاجة لهم في الآخرة إلا الاعتصام بالكذب بأن يقولوا " والله ربنا ماكنا مشركين" يقول: وللظالمين اللعنة، وهي البعد من رحمة الله " وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ " يقول:" ولهم من اللعنة من الله شر ما في الدار الآخرة، وهو العذاب الأليم "(6).

(1) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم برقم 6737.
(2) سورة الإسراء الآية60.
(3) ينظر: جامع البيان للطبري484/17، تفسير القرآن العظيم لابن كثير44/5.
(4) مفاتيح الغيب للرازي361/20، وينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور117/14.
(5) سورة غافر الآية52.
(6) جامع البيان للطبري402/21.

ويعد اللعن من الظلم وهو كالقتل في الفعل والجزاء والعاقبة، لاسيما في حق المؤمن، لقول رسول الله ﷺ:(وَمَنْ لَعَنَ مُؤْمِناً فَهْوَ كَقَتْلِهِ وَمَنْ قَذَفَ مُؤْمِناً بِكُفْرٍ فَهْوَ كَقَتْلِهِ)(1).

وعن أَبِى الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:(إِنَّ اللَّعَّانِينَ لاَ يَكُونُونَ شُهَدَاءَ وَلاَ شُفَعَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)(2)، وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (الْمُسْتَبَّانِ مَا قَالاَ فَعَلَى الْبَادِئِ مَا لَمْ يَعْتَدِ الْمَظْلُومُ)(3).

ثالثاً/ كتم العلم:

كتم العلم الذي هيأه الله لبعض عباده موصل إلى اللعن من الله ومن ملائكته وعباده، وسواء كان ذلك العلم يتعلق بالدين أو الدنيا، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾(4).

قال الإمام الطبري: "وهذه الآية وإن كانت نزلت في خاص من الناس، فإنها معني بها كل كاتم علمًا فرض الله تعالى بيانه للناس"(5) فالعلماء معنيون ببيان ما أنزل الله من أحكام وآداب، فإذا كتم العلماء شيئًا من ذلك استحقوا اللعن، وهو وعيد شديد، وتهديد عظيم، فاللعن الطرد من رحمة الله، ومن ذا الذي يرغب في الابتعاد من رحمة الله، وهو يعلم ما أعدّ الله لعباده الصالحين، وما أعدّه الله لعباده الكافرين والعاصين، فإذا كان هذا في حق علماء الإسلام، فماهي الحال في حق علماء أهل الكتاب وغيرهم ممن ولجوا العلم التجريبي الذي توصلوا به إلى أن الله إله واحد وخالق الكون، وأن ما بلغ به رسول محمد ﷺ صدقاً وعدلاً، فآمن منهم من آمن، وكفر منهم من كفر، وهم يعلمون يقينًا أن الإسلام حق وعدل وحرية ومساواة، وأنه دين الله الأوحد في الأرض، فهّلا أوصلهم علم الدنيا إلى علم الدين.

قال تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَمَن يَلۡعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ

(1) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب: ما ينهى من السباب واللعن برقم6047، ومسلم، كتاب الإيمان، باب: غلظ تحريم قتل الإنسان برقم 316 من حديث ثابت بن الضحاك.

(2) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب: النهي عن لعن الدواب وغيرها برقم6777.

(3) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب برقم6756.

(4) سورة البقرة الآية159، وينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير184/2، تفسير المنار لمحمد رشيد رضا41/2.

(5) جامع البيان للطبري251/3.

نَصِيرًا ﴾(1)، وهذه الآية فيها لعن لأهل الكتاب الذين ذهبوا يستنصرون بالمشركين، وكتموا الحقيقة التي يعرفونها أن الإسلام حق وأن النبي ﷺ حق.

قال الإمام ابن كثير: "وهذا لعن لهم، وإخبار بأنهم لا ناصر لهم في الدنيا ولا في الآخرة، لأنهم إنما ذهبوا يستنصرون بالمشركين، وإنما قالوا لهم ذلك ليستميلوهم إلى نصرتهم، وقد أجابوهم، وجاؤوا معهم يوم الأحزاب، حتى حفر النبي ﷺ وأصحابه حول المدينة الخندق، فكفى الله شرهم"(2).

وفي هذا العصر نرى أهل الكتاب يستنصرون على الإسلام والمسلمين بأصحاب الديانات الوضعية وهم يعلمون علم اليقين أنهم على باطل، وأن الإسلام دين الله الذي لن يقهر على كر العصور ومر الدهور، وقد تبين لهم من خلال البحث بالعلم التجريبي في الآفاق أن ما جاء به الإسلام هو الحق بذاته الذي لا مناص عنه، وأن حجبهم للحقائق العلمية المكتشفة كتمان للعلم الذي هيأهم الله له، فهّلا زادهم علمهم تقربًا إلى الله وإيمانًا به، أم أنه عمى البصيرة الذي يحجب الحق، ويزهو إلى الباطل؟!

رابعا/ قتل المؤمن عمدًا:

القتل جريمة شنيعة حرّمه الله تعالى في الشرائع السماوية كافة، لأنه تجرأ إجرامي على إزهاق روح إنسان بريء، وهو تعد على حياه الإنسان التي هي من الله، وليست من أحد سواه، والله هو المحي والمميت، والقتل أشد وأنكى في حق المؤمن، ولذلك كان العقاب من الله أغلظ وأثقل، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾(3) فعقاب الله للقاتل جهنم خالدًا فيها وغضب الله عليه ولعنه، وهي عقوبات مشددة ومغلظة، فمن كان جزاؤه جهنم فهو في خسران، ومن غضب الله عليه فهو في عذاب دائم، ومن لعنه الله أبعده من رحمته، فماذا بقي للقاتل إذن بعد تلك العقوبات؟

ولا فرق أن يكون القتل بآلة حادة أو غيرها، ففي عصرنا تعددت أدوات ووسائل القتل ما بين أدوات حادة أو بندقية أو مسدس أو حزام ناسف أو مبيدات سامة أو ما شابهها، كلها أدوات فتّاكة مهلكة للحرث والنسل.

وتتعدد مظاهر القتل من فردي إلى جماعي من خلال التفجيرات الإرهابية للمجمعات السكنية والأسواق والمصالح الحيوية، فتسفك دماء الآلاف من الأبرياء في مجتمع مسلم مسالم،

---

(1) سورة النساء الآيتان 52/51.

(2) تفسير القرآن العظيم لابن كثير334/2.

(3) سورة النساء الآية 93.

أفلا يتمعن القتلة أولئك في وعيد وتشديد هذه الآية الكريمة؟ أفلا يهابون الخلود في جهنم مع غضب الله ولعنه عليهم؟

قال الإمام ابن كثير: "وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد لمن تعاطى هذا الذنب العظيم، الذي هو مقرون بالشرك بالله في غير ما آية في كتاب الله"(1).

وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ في الدِّمَاءِ"(2)، وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا"(3).

فدماء الأبرياء من المؤمنين ليست هدرًا لمن هب ودب تحت حجج واهية وتأويلات باطلة، ومن تاب إلى الله فهو يوم القيامة في مشيئة الله تعالى، وأما في نظر ولاة الأمور وأصحاب الشوكة فلا مناص من تطبيق القصاص على القتلة المجرمين الذي يشكلون خطراً على الإسلام والمسلمين(4).

قال الإمام محمد رشيد رضا: "ومن نظر إلى انحلال أمر الإسلام والمسلمين بعدما أقدم بعضهم على سفك دم بعض من زمن طويل يظهر له وجه هذا، وأن القاتل لا يعذر بهذه الجرأة على هذه الجريمة وهو لم تعرض لديه شبهة في أمر الله، إذ لا رائحة للعذر في عمله؛ بله هو مرجح للغضب وحب الانتقام وشهوة النفس على أمر الله تعالى، ومن فضل شهوة نفسه الخسيسة الضارة على نظر الله وعلى كتابه ودينه ومصلحة المؤمنين بغير شبهة فهو جدير بالخلود في النار والغضب واللعنة"(5).

خامسا/ قطيعة الرحم:

صلة الأرحام وشيجة اجتماعية إنسانية، حث عليها القرآن، وحبّب فيها رسول الله ﷺ لما لها من أهمية بالغة، فبها تزداد الأسرة تماسكًا وتتقوى الأمة برابطة اجتماعية صلبة ومترابطة على الدوام، وكفى بتلك الصلة بأن من وصلها وصله الله، ومن قطعها قطعه الله، والله تعالى

(1) تفسير القرآن العظيم لابن كثير376/2، وينظر: جامع البيان للطبري69/9، الكشاف للزمخشري550/1.

(2) أخرجه البخاري، كتاب الديات، باب قول الله تعالى:" ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم " برقم6864، ومسلم، كتاب القسامة، باب المجازة بالدماء في الآخرة برقم4475.

(3) أخرجه البخاري، كتاب الديات، باب قول الله تعالى:" ومن يقتل مؤمناً فجزاؤه جهنم" برقم6862.

(4) حول قبول توبة القاتل المتعمد من عدمها ينظر الخلاف حول هذه المسألة في: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي334/5، معالم التنزيل للبغوي266/2، وتفسير المنار لمحمد رشيد رضا276/5.

(5) تفسير المنار لمحمد رشيد رضا277/5.

يقول: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴾(1)، فحق القرابة عظيم عند الله وعند ورسوله.

قال الإمام الرازي:" والسبب العقلي في تأكيد رعاية هذا الحق أن القرابة مظنة الاتحاد والألفة والرعاية والنصرة، فلو لم يحصل شيء من ذلك لكان ذلك أشق على القلب وأبلغ في الإيمان والإيحاش والضرورة، وكلما كان أقوى كان دفعه أوجب، فلهذا وجبت رعاية حقوق الأقارب"(2)، وعاقبة قطع الرحم وخيمة ومتعددة، فكما لعنهم الله بإبعادهم من رحمته فإنه أصمهم فلا يستفيدون من السمع مع وجود أداة السمع، وأعمى أبصارهم فلا يرون مع وجود أعينهم.

قال الإمام ابن عاشور: "واستعير الصمم لعدم الانتفاع بالمسموعات من آيات ومواعظ النبي ﷺ، كما استعير العمى هنا لعدم الفهم على طريقة التمثيل لأن حال الأعمى أن يكون مضطربًا فيما يحيط به لا يدري نافعه من ضاره إلا بمعونة من يرشده، وكثر أن يقال: أعمى الله بصره، مرادًا به أنه لم يهده، وهذه هي النكتة في مجيئ تركيب: "وأعمى أبصارهم " مخالفاً لتركيب: "فأصمهم" إذ لم يقل: وأعمالهم، وفي الآية إشعار بأن الفساد في الأرض وقطيعة الأرحام من شعار أهل الكفر، فهما جرمان كبيران يجب على المؤمنين اجتنابهما "(3).

هذا وصلة الأرحام من الأهمية بمكان عند المسلمين، فهي رابطة للود والألفة والمحبة والنصرة، فعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:" مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ "(4)، وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ مَنْ وصلني وَصَلَهُ اللَّهُ وَمَنْ قطعني قَطَعَهُ اللَّهُ"(5).

فصلة الأرحام سبب من أسباب الرزق وهي سبب لدوام الذكرى الحسنة والثناء بين الناس بالحسنى، ولذلك نرى المجتمعات غير المسلمة تكاد تختفي فيها هذه الصلة، فترى القطيعة والتباعد والتفرقة بين الأقارب، فالولد غير آبه بوالده، والوالد غير آبه بولده، وما دونهما أشد بعدًا وقطيعة، مما يجعل التعامل ماديًّا فحسب؛ إذ لامجال للمودة والألفة والمحبة.

---

(1) سورة محمد الآية23،22.

(2) مفاتيح الغيب للرازي587/3.

(3) التحرير والتنوير لابن عاشور95/26، وينظر: في ظلال القرآن لسيد قطب3297/6.

(4) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب: من بسط له في الرزق بصلة الرحم برقم5986، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها برقم6688.

(5) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب من وصل وصله الله برقم5687، ومسلم واللفظ له، كتاب البر والصلة والآداب، باب: صلة الرحم وتحريم قطيعتها برقم6683.

سادسا/ ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة ربانية، فرضها الله تعالى على المسلمين، وحث السابقين عليها، وتركها سبب لوقوع السخط واللعن، قال تعالى: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾(1).

ففي هذه الآية لعن الله الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى، واللعن الطرد من رحمته، وقد ذم الله ذلك السلوك بقوله: ﴿ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾ فإذا اجتمع الرضا بالمنكر مع العصيان فذلك تعدٍ على حدود الله، فالمنكر اعتداء على حدود الله، وما سمّي منكرًا إلا لأن النفوس تنكره وتأباه.

قال الإمام القرطبي: "في مسألة واحدة: وهي جواز لعن الكافرين وإن كانوا من أولاد الأنبياء، وأن شرف النسب لا يمنع إطلاق اللعنة في حقهم "(2) وكلام الإمام القرطبي ينحى بالقول بجواز لعن المعين، وإن كان الظاهر هو لعن فاعل ذلك الفعل، دون تعيينه، والاشتراك في ذلك الكفر على العموم، وبقطع النظر عما أصاب بني إسرائيل الذين لعنوا على لسان أنبيائهم من مسخ كالقردة والخنازير، فإن العبرة أن ما أصابهم هو بتركهم فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأن تطبيق هذه الفريضة كسلوك فيه حفاظ على الفرد والمجتمع، وفيه إعزاز للحق وإزهاق للباطل، وهذا السلوك تقوم به الأمة من الناس.

قال محمد رشيد رضا: "فأخبر تعالى أنه لعن الأمة كلها لتركهم التناهي عن المنكر، نعم؛ إن هذا فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين، ولكن لا يكفي في كل قطر واحد كما قال بعض الفقهاء؛ بل لابد أن تقوم به أمة من الناس، كما قال الله تعالى لتكون لهم قوة ولنهيهم وأمرهم تأثير"(3) وهذا الكلام ينطبق على الفرد في محيطه الأسري والاجتماعي فيما يمكن إنكاره من المنكرات بالتي هي أحسن، وأما على المستوى المجتمعي العام فإن ذلك دور الهيئات والمؤسسات التي أنشئت لذلك الغرض، على أن تمارس تلك المؤسسات والهيئات واجب النصح والإرشاد، ولا تتولى الضبط والمحاسبة، فإن ذلك من مهمة الأجهزة التنفيذية كالأمن والشرطة ومن مهام الأجهزة القضائية.

---

(1) سورة المائدة الآيتان79/78.

(2) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي252/6، وينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور179/5.

(3) تفسير المنار لمحمد رشيد رضا42/2، وينظر: تفسير المراغي171/6، في ظلال القرآن لسيد قطب947/2.

والنبي ﷺ يقول: "مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ"(1)، وهذا مع التقيد بضوابط تغيير المنكر بما يحقق المصلحة ويدرأ المفسدة، وبما لا يؤدي إلى منكر أشد من المنكر المنهي عنه، مع الأمر بالمعروف بالتي هي أحسن، فالغرض من تغيير المنكر ليس التشهير والتعيير وإنما ابتغاء الأجر من الله، وإحقاق شريعته وآدابه كما أمر تعالى.

سابعا/ نقض العهد والميثاق:

العهد هو الوفاء والاحتفاظ بالشيء وإحداث العهد به(2)، وهو الأمان واليمين والموثق، والذمة، والحفاظ، والوصية، وقد عَهِدْتُ إليه، أي أوصيته، ومنه اشتُقَّ العهد الذي يكتب للولاة، وتقول: عليَّ عهدُ لأفعلن كذا(3)، والعهد كل ما عوهد الله عليه وكل ما بين العباد من المواثيق فهو عهد(4)، والميثاق هو العهد المحكم والمعاهدة وأخذ العهد بمعنى الاستحلاف(5).

هذا والعهد والميثاق مع الله أشد عرى المعاهدة، فالإنسان عاهد الله على الإيمان به، ووحدانيته، وبإقامة شرعه في أرضه، وأوثق من عاهد الله اليهود، ولكنهم نقضوا ميثاقهم مع الله، فاستحقوا لعنته، قال تعالى:﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾(6).

قال الإمام ابن كثير: "لما أمر الله تعالى عباده المؤمنين بالوفاء بعهده وميثاقه، الذي أخذه عليهم على لسان عبده ورسوله محمد ﷺ، وأمرهم بالقيام بالحق والشهادة بالعدل، وذكرهم نعمه عليهم الظاهرة والباطنة، فيما هداهم له من الحق والهدى، شرع يبين لهم كيف أخذ العهود والمواثيق على من كان قبلهم من أهل الكتابين: اليهود والنصارى، فلما نقضوا عهوده ومواثيقه

(1) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب: كون النهي عن المنكر من الإيمان برقم78 من حديث أبي سعيد الخدري.
(2) مقاييس اللغة لابن فارس167/4.
(3) الصحاح في اللغة للجوهري515/2، وينظر: تاج العروس للزبيدي454/8.
(4) لسان العرب لابن منظور311/3.
(5) الصحاح للجوهري1563/4، تاج العروس للزبيدي450/26، لسان العرب لابن منظور371/10.
(6) سورة المائدة الآية13.

أعقبهم ذلك لعنًا منه لهم، وطردًا عن بابه وجنابه، وحجابًا لقلوبهم عن الوصول إلى الهدى ودين الحق، وهو العلم والنافع والعمل الصالح "(1).

والله تعالى يقول فيهم أيضًا وفي غيرهم من أهل الشرك والكفر والنفاق: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾(2).

قال الإمام الطبري:" وقال بعضهم: إن الله عنى بهذه الآية جميع أهل الشرك والكفر والنفاق، وعهده إلى جميعهم في توحيده: ما صنع لهم من الأدلة على ربوبيته، وعهده إليهم في أمره ونهيه: ما احتج به لرسوله من المعجزات التي لا يقدر أحد من الناس غيرهم أن يأتي بمثلها، الشاهدة لهم على صدقهم، قالوا: ونقضهم ذلك، تركهم الإقرار بما قد تبينت لهم صحته بالأدلة، وتكذيبهم الرسل والكتب، مع علمهم أن ما أوتوا به حق"(3).

وينحى سيد قطب إلى ذلك ولكنه توسع في ذلك إلى أن العهد أيضًا عهد الاستخلاف في الأرض الذي أخذه الله على آدم"(4)، فإن نقض عهود الله ينتج عنه القطيعة مع الله، والفساد والإفساد في الأرض، وإذا حدث ذلك فإنها الفوضى العارمة التي تأكل الأخضر واليابس، ولهذا الوفاء مع الله بأداء الصلوات وإقامتها والحفاظ على أركان الدين، وإقامة الحكم بالعدل في الأرض، والثبات على المبدأ الصحيح لهو العهد والميثاق مع الله، فمن نقض ذلك كله حقت عليه لعنة الله بإبعاده وطرده من رحمته.

ثامنا/ الإفساد في الأرض: حذرنا الله تعالى من الفساد في الأرض، وبين لنا صفات المفسدين بقوله تعالى:﴿ فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ ﴾(5) ويقول الله تعالى:﴿ فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ ﴾(1).

(1) تفسير القرآن العظيم لابن كثير64/3، وينظر: تفسير المنار لمحمد رشيد رضا231/6، في ظلال القرآن لسيد قطب857/2.
(2) سورة الرعد الآية25.
(3) جامع البيان للطبري411/1، وهذا القول مال إليه الزمخشري في الكشاف، وابن كثير في تفسيره210/1، تفسير المنار لمحمد رشيد رضا202/1.
(4) في ظلال القرآن لسيد قطب51/1.
(5) سورة النساء الآية155.

الفساد في الأرض معول هدم للدين، وأداة للصد عن سبيل الله، وما دخل الفساد في قلب إلا وجعله أسودًا، والفساد والإفساد مطية كل معاند ومخاب وملحد، فما عانى منه الأنبياء والرسل منه إلا بفساد القلوب وإفساد أصحابها لحياة الفطرة السليمة ومنهج الله بين أيديهم واضح ومبلغ، وبفساد القلوب تفسر الحياة، في شتى مناحيها.

يقول سيد قطب: "والفساد في الأرض ألوان شتى، تنبع كلها من الفسوق عن كلمة الله، ونقض عهد الله، وقطع ما أمر الله به أن يوصل، ورأس الفساد في الأرض هو الحيرة عن منهجه الذي اختاره ليحكم حياة البشر ويصرفها، هذا مفرق الطريق الذي ينتهي إليه الفساد حتمًا، فما يمكن أن يصلح أمر هذه الأرض، ومنهج الله بعيد عن تصريفها، وشريعة الله مقصاة عن حياتها، وإذا انقطعت العروة بين الناس وربهم على هذا النحو فهو الفساد الشامل للنفوس والأحوال، وللحياة والمعاش، وللأرض كلها وما عليها من ناس وأشياء "(2).

والفساد في عصرنا الحاضر توسع مدلوله في مجالات شتى، فهو في الاعتقاد، وفي الاقتصاد والتربية والحكم، وهو نتيجة حتمية لنقض عهود الله، وما سوء الحال في الأرض، لا سيما المجتمعات الإسلامية من فقر وخوف ورعب وخراب إلا جزاء انحرافهم عن منهج الله وشرعه القويم، ولعنهم الله بطردهم من رحمته نتيجة سوء أفعالهم، ومخالفتهم لأوامره ونواهيه.

هذا وأشد وأخطر أنواع الفساد ما كان في الحكم، فإذا غابت العدالة الاجتماعية، والمساواة، وحل محلها الظلم والجهل وأكل أموال الناس ظلمًا، وساد الفسّاق، وحوصر الحق وأهله، وابتعد الناس عن خالقهم، وتمسكوا بخلقه، فحلول لعنة الله واقعة لامحالة، ومن أبعده الله من رحمته عاش عيشة ضنكا، فهو إلى الشقاوة أقرب ما يكون، وفي الهلاك واقع وساقط، ولا نجاة من ذلك إلا بالحفاظ على الدين وإقامته كاملاً على الأرض بكماله وشموله دون اجتزاء ما ترغب فيه النفوس، وتترك ما تأباه.

(1) سورة محمد الآيتان23/22.

(2) في ظلال القرآن لسيد قطب52/1.

الخاتمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

ففي نهاية هذا البحث **نلخص النتائج التي تم التوصل إليها، ومن أهمها وأبرزها:**

- اللعن من الله الطرد والإبعاد في حق خلقه.
- اللعن من الخلق في حق بعضهم هو الشتم والسب.
- لعنة الله لا تحل بالمعيّن من الناس إلا بمخالفته أوامر الله ونواهيه.
- لعن المؤمن كقتله في الفعل والجزاء والعاقبة.
- اليهود أكثر الناس استحقاقًا للعن من الله وملائكته والناس أجمعين.
- النفاق خطر عظيم على المجتمعات كافة.
- مكانة المدينة المنورة عظيمة عند الله وعند رسوله ﷺ وعند المسلمين.
- مهام مؤسسات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر النصح والإرشاد وليس الضبط والتحقيق والعقاب.
- القرآن خير كتاب فصّل حياة الناس تفصيلاً دقيقًا في الاعتقاد والسلوك والأخلاق.
- مؤاذاة النبي ﷺ جريمة عظمى تستحق العقاب المغلظ الرادع.
- نقض العهود والمواثيق تسبب الفوضى والدمار والخراب للدول.
- اللعَّان لا يعد من الشهداء والشفعاء يوم القيامة.

المصادر والمراجع:

- إظهار الحق: رحمة الله بن خليل الرحمن الكيرانوي الهندي، تحقيق: د. محمد أحمد محمد ملكاوي، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، الرياض، السعودية، ط5، 1430هـ-2009م.
- البحر المحيط: محمد بن يوسف (أبو حيان الأندلسي)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420هـ.
- تاج العروس من جواهر القاموس: محمد بن محمد مرتضى الزبيدي، مجموعة من المحققين، دار الهداية، بدون بيانات.
- التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط1، 1420هـ-2000م.
- التعريفات: علي محمد الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1405هـ.
- تفسير القرآن العظيم: إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط2، 1420هـ-1999م.
- تفسير المراغي: أحمد مصطفى المراغي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، بدون بيانات.
- تفسير المنار: محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1990م.
- التوقيف على مهمات التعاريف: محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق ، ط1، 1410هـ.
- جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420-2000م.
- الجامع الصحيح: مسلم بن الحجاج النيسابوري، دار الجيل، بيروت، بدون بيانات.
- الجامع لأحكام القرآن: محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: سمير النجار، دار عالم الكتب، الرياض، السعودية، 1423هـ-2003م.
- الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي: محمد أحمد الأزهر الأزهري الهروي، تحقيق: د. محمد جبر الألفي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ط1، 1399هـ.
- السلسلة الصحيحة: محمد ناصر الدين الألباني، بدون بيانات.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملاين، بيروت، ط4، 1407-1994هـ.
- فتح القدير : محمد بن على الشوكاني، عالم المعرفة. بدون بيانات.
- في ظلال القرآن: سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، بدون بيانات.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : محمود بن عمر الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407هـ.

- لباب التأويل في معاني التنزيل: على محمد البغدادي الخازن، تحقيق: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ.
- لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، ط1، بدون عام الطبعة.
- المحيط في اللغة: إسماعيل بن عباد الطالقاني، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، بيروت، ط،1414هـ-1994م.
- مراح لبيد لكشف معنى القرآن مجيد: محمد بن عمر نووي الجاوي، تحقيق: محمد أمين الصناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ.
- معالم التنزيل في تفسير القرآن: الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر ، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة، ط4، 1417هـ-1997م.
- معاني القرآن: يحيى بن زياد الفراء، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، محمد علي نجار، عبد الفتاح شلبي، دار المصرية، مصر، بدون بيانات.
- المعجم الأوسط: سليمان أحمد الطبري، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة 1415هـ.
- معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط1 1399-1979.
- مفاتيح الغيب: محمد بن عمر فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون رقم وتاريخ الطبعة.
- المفردات في غريب القرآن: الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داودي، دار العلم، دمشق، بيروت، 1412هـ، بدون رقم ط.
- مفصل آيات القرآن: تصنيف د. عبد الصبور شاهين، فكرة نوح أحمد محمد، مطابع روز يوسف الجديدة، مصر، 1412هـ-1991م.
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: يحيى شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1392هـ.
- الموسوعة الفقهية الكويتية: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ط1، 1404هـ-1427هـ.